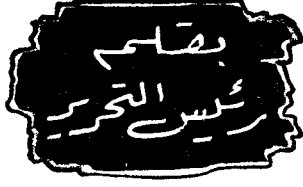


شهريات



لبنان والثقافة العربية

وليست بنا حاجة هنا الى سرد الاسهام الاساسي الكبير الذي قام به لبنان . وما يزال يقوم به . في ثقافتنا العربية المعاصرة . فتاريخ الثقافة يشهد نه بدور فعال في ميادين الرواية والقصة والشعر والمسرح والفسون التشكيلية والموسيقى والغناء . غير اننا نود التوقف بتركيز شديد . على بضعة امور في هذا الاسهام :

(١) لا يزال لبنان النافذة الكبرى المشرعة على الثقافات الاجنبية . يتقاهما ويطلقها في اقطار المروبة . كما لا يتاح لاي قطر ان يفعل . وهو هنا يقوم بأكبر دور في الترجمة . ونحن نعتقد ان معظم تيارات الفكر والادب والفن الاجنبية انما تقلعت في اوساط القراء والمثقفين العرب بفضل ترجمتها في لبنان . وهكذا تكون الثقافة العربية المعاصرة مدينة ، الى حد كبير ، لهذا البلد بتلقحها وتفاعلها مع الثقافات الاجنبية على اختلافها . واهمية لبنان في هذا المضمار انه شرع نوافذه على سعتها للتلقي ، من غير قيد ولا تضيق ، بعكس ما فعلته وما تزال تفعله بعض الاقطار العربية حين تفرض تيودا على الفكر اليميني ، او على الفكر اليساري . او على اي تيار لا ينسجم مع نظامها .

(٢) هذه النافذة الكبيرة اتاحت للوسائل الاساسية للترجمة ان تأخذ كل مداها في لبنان ، فأصبح البلد الأول في انتاج المعاجم اللغوية التي بلغت صناعتها هنا مستوى رفيما من الجودة ، تأليفا وترجمة واخراجا . وقد تابع لبنان في هذا السياق دوره الاول في الحفاظ على اللغة العربية وتعزيز موقعها وافشال مخططات تهجينها بمحاولة احلال اللاتينية او اللغة العامية محلها .

(٣) نتيجة لذلك كله . أصبح لبنان اكبر عاصمة عربية للنشر والتسويق والتوزيع . ولا شك في ان ما يقوم به الناشر اللبنانيون ، بالرغم من التحفظات الكثيرة على بعضهم ، يتجاوز في اهميته وفاعليته ما تقوم به معظم وزارات التربية والثقافة والاعلام العربية .

(٤) اذا كان ازدهار النشر والتوزيع نتيجة ، فان السبب الاول لاهمية لبنان الثقافية هو حرية الفكر التي تتمتع بها . وهناك اجماع على ان لبنان هو واحة الحرية

حين يطرح موضوع « لبنان في الثقافة العربية » فلا بد من المبادرة الى توضيح ان العلاقة بين لبنان والثقافة العربية هي علاقة جزء بكل . أي علاقة تكامل وتبادل ، وليست علاقة تخارج وتمايز . من اجل ذلك نعتبر مقولة التعددية الحضارية . في الامم العربية . مقولة مرفوضة ومردودة ، وبديليا هو التكاملية الحضارية التي لم تكن الثقافة ، منذ عصر النهضة حتى اليوم ، الا انعكاسا امينا لها .

ذلك ان جميع النشاطات الثقافية التي أنتجها لبنان في القرنين الاخيرين تنبع من هموم مشتركة بينه وبين سائر اجزاء الوطن العربي وتستهدف غاية واحدة . واذا كان التعبير عن هذه النشاطات الثقافية يتخذ له « نكهة » خاصة تميزه عن نكهات الانتاج العربي الآخر . فهي بعيدة عن ان تشكل انتاجا مستقلا بذاته غير مرتبط بغيره بأي رباط .

واذن ، فاننا حين نتحدث عن دور لبنان في الثقافة العربية ، فيجب ان نستبعد الترجسية التي يتبناها بعض الفرقاء تديلا على تفرد لهذا البلد لا يماثله فيه سواه . فالواقع ان لبنان ، على الصعيد الثقافي ، لا يستمد اهميته الا من كونه مشاركا في صنع ثقافة عربية يتكامل بها ويكاملها مع اجزاء الوطن العربي الاخرى . وذلك امر بديهي ومنطقي حين يدرس لبنان كبادرة ثقافية تتجمع فيها هموم امة تربط بين اجزائها اصول تاريخية موحدة ولغة واحدة وارادة في الحياة مشتركة . وليست محاولات عزل لبنان الا استلابا له وتغفيرا لاصالته العربية . وقد باءت فعلا بالاخفاق محاولة تفريه وفصله عن المصير العربي على كل صعيد ، فهو في السياسة أعجز من ان يستقل عن القضايا العربية المصيرية ، وعلى رأسها قضية فلسطين ، لان هذه القضايا من قدره ، ولا فكاك له منها . وهو على الصعيد الاقتصادي مدعو الى الانهيار والتفتت بغير علاقاته التجارية مع البلدان العربية . اما على الصعيد الثقافي ، فان انتاجه في الآداب والفنون يجد بعده الاستراتيجي في كل العواصم والارياف العربية .

« الآداب » في عامها الثامن والعشرين

بهذا العدد . تدخل « الآداب » عامها الثامن والعشرين ...

و « معجزة » استمرار « الآداب » ومتابعتها رسالتها دون أي ضعف أو تراجع هي تحفة لجميع المعوقات والمشبطات في وقت ينعدم فيه التكافؤ بين امكانية هذه المجلة وامكانيات المجلات الاخرى التي تصدر ، داخل كل بلد ، بتمويل مباشر ، او في الخارج . بدعم غير منظور ... بل لعل الحاجة الى استمرار « الآداب » تزداد الحاحا كلما صدرت مجلة جديدة ذات تمويل رسمي ... لان هذه المجلات التي تتكاثر شهرا بعد شهر ، لا بد ان تدفع ثمنها لتمويلها تبعيتها لمصدر التمويل ، فتفقد بذلك حريتها في التفكير والتعبير والنشر .

غير ان ذلك لن يسمح « للآداب » بأن تنام على حبر ... ان عليها ان تتجاوز ذاتها ، وان كان هذا التجاوز يظل محكوما بالانتاج الادبي ، بمعنى ان صعود مستوى المجلة او هبوطه مرتبطان حكما بصعود الانتاج المعروض او هبوطه .

سبعة وعشرون عاما : تاريخ وتراث .. لعل أهم ما يحملانه ان « الآداب » أصبحت . بلا منازع . المرجع الاساسي الاول لتطور الادب العربي الحديث .

العربية قاطبة . ذلك ان هذه الحرب قامت أصلا ، على أيدي الذين أثاروها ، لعزل لبنان وشله عن المضي في أداء دوره العربي . وكانت غاية التصدي للذين أثاروا هذه الحرب الدفاع عن القضية الفلسطينية التي هي اساس النضال العربي كله . ولا شك في أن اخفاق مثيري الحرب اللبنانية في ضرب هذا الهم القومي المركزي هو في ذاته انتصار للبنان العربي والعروبي . انتصار يثبت التحام هذا البلد . واقعا ومستقبلا . بالمصير العربي .

وقد أفرزت الحرب اللبنانية المواقع الثقافية في هذا البلد افرازا نهائيا ، بعد أن كان الغموض والتذبذب يحكمان تلك المواقع . ان ثقافتين صريحتين ما زالتا تتواجهان في لبنان : ثقافة عروبية تقدمية ، وثقافة انعزالية رجعية . وبدلا من أن تؤدي الحرب ، في اعتقاد مثيرها ، الى نصر للثقافة الثانية ، فهي تثبت يوما بعد اليوم ان الثقافة الاولى ، الثقافة العروبية التقدمية ، هي التي تحتل الساحة الابداعية ، وهي التي ستكون الوجه الحقيقي للثقافة في لبنان .

في صحراء من القمع والارهاب . ان جميع الايديولوجيات والتيارات والنزعات تجد هنا مجالها الواسع وحريتها الكاملة . والصراعات الثقافية تأخذ جميع الابعاد التي تتيح لها الفعالية والجدوى ، لانتفاء السدود والقيود . من أجل ذلك ، اصبح لبنان ملجأ للحريات : يجد فيه كل عربي . سياسيا كان ام مثقفا ، ملاذا من قمع بلده وارهابه . ذلك هو عنوان مجده الاول وقيمه الكبرى : الديموقراطية الفكرية . ان كثيرين من المفكرين العرب يفضلون أن يأتوا بانتاجهم الى لبنان لينشروه ويذيعوه ، انطلاقا منه ، حتى الى بلادهم الاصلية . وكثيرون من المفكرين والادباء العرب يؤثرون الاقامة في لبنان لانهم يستطيعون فيه ان يعبروا عن الحد الأدنى من افكارهم . فيمارسوا الحد الأدنى من حريتهم .

يبقى السؤال : والحرب اللبنانية ؟

الحق ان الحرب اللبنانية لم تفعل الا ان تؤكد دور لبنان . لا في الثقافة العربية وحدها ، بل في الحياة

سهيل ادريس